Journal Of the Iraqia University (76-9) October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

انزياح الجسد وفضاء السجن في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني: دراسة سيميائيّة نقديّة

الكاتب المسؤول: الدكتور (جهانكير اميري) ، أستاذ في فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة الرازي ، كرمانشاه ، إيران
Gaamiri686@gmail.com
ظافر جابر كاظم
مصطفى علي جاسم
محمد صبار خضير
ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الرازي ، كرمانشاه، إيران
thaferjaber8@gmail.com
Mustafa.al19921993@gmail.com
Sbar2214@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة نقديّة تحليليّة موسّعة لرواية غسان كنفاني "رجال في الشمس" وفق المقاربة السيميائية المعاصرة، مسلطاً الضوء على "انزياح الجسد وفضاء السجن" كبنيتين دلاليتين متلاحمتين لتجسيد مأساة اللجوء والاغتراب. يسعى البحث في مباحثه المتكاملة إلى تفكيك البنى العلاماتية والرمزية التي تحكم تحولات أجساد الأبطال الثلاثة (أبو قيس، أسعد، مروان) داخل الخزان الحديدي للشاحنة؛ حيث يجري تتبع مسار هذا الحيز المكاني وتحوله من مجرد أداة عبور تكنولوجية إلى زنزانة وجودية خانقة ونعش مادي جنائزي، يمارس تدجيناً وتآكلاً فيزيولوجياً هندسياً متصاعداً على أجساد الشخوص، مقتلعاً إياهم من طور الآدمية الحية إلى طور التشيّؤ الكامل والاندماج مجبرين في بنية الحديد الصدئ.وفي مقابل هذا الانسحاق، تدرس الدراسة جسد السائق (أبو الخيزران) بوصفه علامة سيميائية مركبة وشديدة التشظي على العجز البيولوجي والخصاء السياسي، مستعرضة آلياته الدفاعية القائمة على لغة التعويض النفسي والثرثرة الزائفة التي تواطأت مع الزمن البيروقراطي الحدودى لخنق الأنفاس بالخلف. كما يتجاوز البحث البعد البشري ليمخر في سيميائية الأشياء والإكسسوارات المصاحبة كالملابس الرثة، والأوراق الثبوتية المزورة، والحقائب المفقودة، مفسراً دورها في تعميق أزمة الانتماء القانوني والوجودي ومحو الذاكرة المادية للاجئ.كذلك، يُفرد البحث حيزاً تحليلياً دقيقاً لدراسة الفضاء السمعي والحسي للنص، مبيناً مظاهر تراجع الصوت الإنساني لصالح الآلة الميكانيكية، ومفككاً "شعرية الاختناق" والخطاب الواصف لظلمات الخزان الذي اعتمد سيميائيات لمسية وحرارية محرقة تنوب عن الكلمات الغائبة، وصولاً إلى بلاغة الصمت المطبق وتفكيك مشهد النهاية الصادم المتمثل في إلقاء الجثث العارية فوق كومة النفايات وسخرية الساعات المعلقة في المعاصم، مع تشريح صرخة السائق المؤجلة والملغومة بالإنكار. وخلصت الدراسة عبر منهجيتها التفكيكية إلى أن كنفاني نجح في تحويل الجسد من غلاف بيولوجي محايد إلى نص سيميائي مشحون بأعلى الدلالات السياسية والتاريخية، يعبر بأصالة عن أزمة استلاب الهوية، وتآكل الفعل الجمعي، وتشيؤ الإنسان تحت وطأة التاريخ الكولونيالي ورأس المال (مستخلص من مباحث الدراسة الحالية).**الكلمات الدلالية:** سيميائية الجسد، الجسد المنزاح، فضاء السجن، غسان كنفاني، رجال في الشمس، التشيّؤ، بلاغة الصمت، هندسة الحدود، شعرية الاختناق.

Abstract

This study provides an expanded critical and analytical investigation of Ghassan Kanafani's seminal novel ,*Men in the Sun* ,using a contemporary semiotic approach that focuses intensely on "The Displaced Body and the Prison Space" as two intertwined daccric structures embodying the tragedy of refuge and alienation. Across its comprehensive chapters, the research aims to deconstruct the semantic and semiotic configurations governing the physical and ontological transformations of the three protagonists' bodies (Abu Qais, Assad, and Marwan)

inside the truck's iron tank. It meticulously traces how this mechanical transit object is semiotically transfigured into a suffocating existential cell and a material coffin. This space enforces a progressive, geometrically calculated physiological erosion on the characters' bodies, violently reducing them from living human agents into reified, passive matter fused with the rusted metal.In contrast to this physical annihilation, the paper interrogates the body of the driver (Abu Al-Khaizuran) as a complex signifier of biological impotence and political castration. It examines his psychological defense mechanisms, established through hollow verbosity and fabricated sexual exploits, which tragically colluded with bureaucratic border delays to exhaust the remaining oxygen in the back. Furthermore, the analysis extends beyond human anatomy to scrutinize the semiotics of accompanying objects and accessories—such as ragged clothing, forged identity documents, and abandoned luggage—interpreting their active role in deepening the crisis of legal belonging, erasing material memory, and inducing a state of administrative non-existence.The study also dedicates rigorous analysis to the sensory and auditory dimension of the text, demonstrating the systemic regression of the human voice in favor of mechanical noise. It deconstructs the "poetics of suffocation" and the descriptive discourse of the tank's internal darkness, which relies on a burning haptic and thermal semiotics to substitute for absent speech. Finally, the research deconstructs the shocking concluding scene, focusing on the eloquence of absolute silence, the dumping of naked corpses onto a garbage heap, the bitter irony of the wristwatches ticking amidst decay, and a critical anatomical reading of the driver's delayed, guilt-evading scream. The study concludes that Kanafani successfully transformed the human body from a neutral biological shell into a hyper-charged semiotic text, profoundly articulating the alienation of national identity, the paralysis of collective action, and the brutal reification of human beings under the weight of colonial displacement and capitalist greed (Abstracted from the current study's chapters).**Keywords :**Semiotics of the Body, Displaced Body, Prison Space, Ghassan Kanafani, Men in the Sun, Reification, Eloquence of Silence, Border Architecture, Poetics of Suffocation.

المقدمة

تُمثّل رواية "رجال في الشمس" (١٩٦٣) للكاتب والمناضل الفلسطيني غسان كنفاني علامةً فارقة في مسار السردية العربية المقاوِمة، ونقطة تحول أنطولوجية (وجودية) في رصد الصدمة التاريخية التي خلّفتها نكبة عام ١٩٤٨. ولم يكن كنفاني في هذا النص ميرِّخاً يسجل أحداث اللجوء بشكل تقريري، بل كان مهندساً بنيوياً فكك من خلاله شروط الاستلاب الإنساني وعرّى من خلاله آليات التفتيت الجغرافي والسياسي التي حاصرت الذات الفلسطينية المقتلعة من جذورها.إن القيمة النقدية والجمالية لهذه الرواية تكمن في قدرتها الفائقة على تحويل العناصر المادية والجسدية المحايدة إلى شفرات سيميائية (علاماتية) بالغة الكثافة والتعقيد؛ فلم يعد الجسد البشري في فضاء الرواية مجرد وعاء بيولوجي متحرك، بل غدا نصاً علاماتياً تتقاطع فيه أوزار السياسة وإفرازات القهر الطبقي والوجودي. ومن هذا المنطلق، يتأسس هذا البحث ليدرس "انزياح الجسد وفضاء السجن" في الرواية عبر مقاربة سيميائية معاصرة، تسعى إلى كشف التواطؤ القائم بين الأنظمة البيروقراطية الحدودية والآلة الرأسمالية للتهريب في صياغة مصائر الشخوص وتصفيتهم فيزيائياً.تنبع أهمية هذه الدراسة من محاولتها إعادة قراءة النص الكنفاني من منظور "سيميائيات الجسد والمكان والأشياء"، متجاوزةً التحليلات السياسية المباشرة إلى تفكيك البنى العميقة التي تحكم حركية الأجساد الثلاثة (أبو قيس، أسعد، مروان) ومسار تآكلها التدريجي داخل الخزان الحديدي للشاحنة، بوصفه زنزانة وجودية عقيمة ونعشاً ميكانيكياً صنعته قوى الهيمنة. وفي المقابل، تسلط الدراسة الضوء على جسد السائق (أبو الخيزران) كعلامة على الخصاء السياسي والعجز الإيديولوجي للقيادات التقليدية، مستعينة بآليات النقد الفضائي والسمعي لتشريح "شعرية الاختناق" وبلاغة الصمت التي تُوّج بها مشهد النهاية الصادم.ولتحقيق هذه الغايات النقدية، تم تقسيم البحث إلى ستة مباحث متكاملة؛ تبدأ بالمرجعية النظرية لسيميائية الجسد وفضاء السجن، ثم تنتقل لتتبع التحولات الفيزيولوجية للأجساد الثلاثة، تليها دراسة الدلالات الإشارية للإكسسوارات والأشياء المصاحبة، ثم تشريح سيميائية العجز والخصاء لدى شخصية أبو الخيزران وشاحنته، وصولاً إلى تفكيك مشهد الجثة والموت المجاني في النهاية، لينتهي البحث بدراسة الفضاء السمعي وحرارة المتخيل عبر الخطاب الواصف داخل عالم الظلمات (مستخلص من مقدمة الدراسة الحالية).

المبحث الأول: المرجعية النظرية والتعريفية (سيميائية الجسد وفضاء السجن في النقد الحديث)

المطلب الأول: مفهوم الجسد المنزاح ودلالاته السيميائية

لم يعد الجسد في السيميائيات المعاصرة مجرد غلاف بيولوجي مصمت أو أداة فيزيائية محايدة تتحرك في الفراغ، بل هو نص علاماتي أول مشحون بالدلالات الخفية، وقابل للقراءة والمساءلة كأي خطاب لغوي مكتوب. يتأسس الجسد بوصفه فضاءً جيوسياسياً تتقاطع فيه صراعات السلطة، وأوزار التاريخ، وإفرازات القهر الاجتماعي. ويُقصد بـ "الجسد المنزاح" في سياق هذا البحث: خروج الجسد عن وظائفه الطبيعية المعيارية المتمثلة في الحرية، والسيادة، والحركة، والخصوبة، وتحوله تحت وطأة الهيمنة السياسية والمؤسساتية الممنهجة إلى جسد "مستلب" أو "متشيء". إن هذا الانزياح ينقله من فاعلية الإنتاج والتعبير الحر إلى مرتبة المادة الصامتة الملاحقة والمحاصرة. هنا، يفقد الجسد لغته الطبيعية من نطق واختيار، ليفرز بدلاً منها علامات تعبيرية بديلة كالعرق البارد، والارتعاش، والتصلب، وهي مؤشرات تشير إلى عمق التآكل الروحي وتشرذم الوعي الوجودي أمام بنى مهيمنة تسعى لتجريده من إنسانيته وهويته الجغرافية الأصيلة (السيميائية والأدب: النظرية والتطبيق، د. سيزا قاسم، ص ٨٤-٨٩)وتأسيساً على ذلك، فإن سيميائية الجسد المنزاح تكشف عن التواطؤ القائم بين الأنظمة الشمولية والظروف الجيوسياسية القاهرة في إعادة صياغة فيزيولوجيا الإنسان، حيث يغدو الجسد مرآة تعكس الخراب الداخلي الذي أحدثته الصدمة التاريخية. إن هذا الانزياح يتبدى بوضوح عندما يُجبر الجسد على التنازل عن حيزه الحيوي الطبيعي والانكماش في مساحات ضيقة، مما يعيد إنتاجه سيميائياً كأداة للمقايضة أو مادة خاضعة للتجريب والاختبار. ومن ثم، فإن الخطاب السردي يستعين بهذا الانزياح ليعرّي زيف الشعارات الإنسانية، محولاً الأطراف والعضلات وحركات التنفس إلى شفرات مشحونة بالرفض السياسي، وضاجّة بالاحتجاج الضمني ضد قوى الاستلاب الكولونيالي والطبقي التي تسعى لتفريغ الذات من محتواها الأخلاقي والوجودي الفاعل (أيديولوجيا الجسد: دراسات سيميائية، د. محمد سراي، ص ٤٥-٥١).

المطلب الثاني: سجن المكان وآليات تحويل الفضاء إلى زنزانة وجودية

يرى النقد الفضائي الحديث، وخصوصاً في أطروحات الجغرافيا الأدبية، أن المكان الروائي ليس مجرد ديكور خلفي ساكن أو حيز هندسي محايد لاحتواء الشخوص وتأطير حركتهم، بل هو فاعل درامي باطش يمارس سلطة قهرية وتوجيهية على شواهد النص وأبطاله. وفي رواية "رجال في الشمس"، ينقسم المكان إلى فضاءين مأزومين يتكاملان في تدمير الذات المغتربة سيميائياً: أولهما الفضاء المفتوح القاتل المتمثل في الصحراء الطبوغرافية اللامتناهية، حيث تتحول الشساعة والأفق الممتد إلى سجن حقيقي يمارس خداعاً بصرياً يلتهم خيارات الأبطال ويسلبهم القدرة على التوجيه الإرادي. وثانيهما الفضاء المغلق الخانق المتمثل في الخزان الحديدي للشاحنة، وهو البنية المكانية المركزية والرحم العقيم الذي يمارس التدجين القسري على الأجساد. يتحول هذا الخزان بفعل الحرارة الميكانيكية والشمس اللاهبة إلى زنزانة وجودية مغلقة تلغي تماماً المسافة بين الداخل والخارج، وتمتص طاقة الجسد الحيوية، لتحوله من أداة عبور نحو الغد إلى نعش جنائزي يختزل سيميائية الموت والصمت المطلق (فضاءات المتخيل الروائي: دراسة في فلسفة المكان، د. حميد لحميداني، ص ٤١-٤٥).ويتضح من هذا التحول الفضائي أن آليات هندسة المكان تعمل وفق نسق قمعي متصاعد، حيث تفقد الصحراء صفتها الأزلية كرمز للانعتاق والحرية لتصبح مصيدة كونية كبرى تسهم في حصار المهاجر البائس. إن تحويل الفضاء إلى زنزانة وجودية يُلغي مبدأ الأمان، ويؤسس لجدلية مأساوية تُصبح فيها البيئة المحيطة عدواً مباشراً للوظائف الحيوية البشرية. فالخزان الحديدي ليس مجرد حاوية معدنية، بل هو تجسيد مادي للنظام العالمي البيروقراطي والحدودي الذي يحجب الشمس الحقيقية ويستعيض عنها بقيظ خانق، مما يبرز كيف يمكن للمكونات المكانية والصناعية أن تتحالف مع شروط اللجوء القاسية لتجريد الإنسان من مركزه الفاعل وتحويله إلى كائن مهزوم يترقب نهايته الوشيكة في جوف الآلة (شعرية المكان في الرواية العربية، د. ياسين النصير، ص ٦٢-٦٨).

المطلب الثالث: جدلية الداخل والخارج وهندسة الحدود الجغرافية

تتكامل البنية الدلالية لفضائي الداخل والخارج لتصنع نظاماً مغلقاً يحاصر الجسد المأزوم؛ فـ "الخارج" المتمثل في الصحراء الممتدة ليس فضاءً للحرية والانطلاق، بل هو امتداد تائه لشرط السجن الحقيقي، حيث تتلاشى الفوارق بين الطبيعة البكر والزنزانة الصناعية. وفي المقابل، يمثل "الداخل" (الخزان) نقطة التكثيف القصوى لهذا الحصار الجغرافي. إن الهندسة المكانية للحدود الفاصلة بين البصرة والكويت تكتسب دلالة سيميائية صارخة؛ إذ تتحول مكاتب الحدود ونقاط التفتيش إلى بوابات عبور مستحيلة تقف حائلاً بين الجسد وحقه الفطري في الحياة والعمل. تُشيّد الحدود جدراناً غير مرئية تفصل اللاجئ عن هويته الإنسانية، وتضعه في برزخ مكاني مأزوم يقتات على تآكل الزمن واحتراق الإرادة (شعرية المكان في الرواية العربية، د. ياسين النصير، ص ١١٢-١١٨)وفي هذا السياق، تغدو جدلية الداخل والخارج بمثابة فخ بنيوي لا فكاك منه، حيث يتبادل الفضاءان الأدوار في ممارسة التعذيب النفسي والجسدي على الشخوص؛ فالخروج من جحيم اللجوء الخارجي لا يقود إلا إلى ارتماء في ظلمات السجن الداخلي. تعبر هندسة الحدود عن جدار الفصل الطبقي والسياسي الذي يقسم العالم إلى ملاذات آمنة للمتنفذين ومقابر جماعية للمستضعفين. إن هذه الحدود، بكل ما تحمله من أختام ومعاملات روتينية بليدة، تمثل الوجه الآخر للآلة العسكرية التي شردت هؤلاء الرجال، إذ تحوّل العبور الجغرافي البسيط إلى

معركة بقاء بيولوجية يتقرر فيها مصير الجسد البشري بناءً على نزوات موظف فاسد أو رغبة مهرب مخصي في الثرثرة واختلاق البطولات الزائفة (فضاءات المتخيل الروائي: دراسة في فلسفة المكان، د. حميد لحميداني، ص ٥٤-٥٩).

المبحث الثاني: تحولات الأجساد الثلاثة داخل الخزان (من البشرية إلى التشيؤ)

المطلب الأول: جسد "أبو قيس" بين التصاق الأرض وانكسار الشيخوخة

يفتتح غسان كنفاني نص الرواية بعلامة سيميائية جسدية دافئة وذات عمق هوّياتي وتاريخي؛ حيث يلقي "أبو قيس" صدره فوق الأرض الخصبة مستمعاً إلى ضربات قلبها وتدفق الحياة في شرايينها الطينية. هذا الالتصاق يمثل "الجسد الطبيعي" في أوج اتساته مع الجذور والأرض كرمز للولادة والانتماء والأمان الوجودي. ومع ذلك، بمجرد انتقال هذا الجسد إلى فضاء "الخزان" المظلم، يبدأ مسار الانزياح الحاد والتراجع الفيزيولوجي؛ إذ تفرز شيخوخته علامات العجز والإنهاك, وتحت وطأة حرارة اللجوء والاختناق، يتحول عرق الشيخوخة ونزعها الداخلي إلى مؤشر سيميائي على ذوبان الهوية التاريخية. إن صدره الذي كان يعانق نبض الأرض يتحول في غيابات الخزان إلى مادة صلبة مستسلمة، تفقد صلتها بالطبيعة وتندمج مجبرة في بنية الحديد الصدئ، معلنةً انتقال الإنسان من الكينونة الحية إلى التشيّؤ الكامل (رواية رجال في الشمس، غسان كنفاني، ص ١١-١٥؛ تحليلات الخطاب الروائي، د. سعيد يقطين، ص ١١٢)ويظهر هذا التراجع الأنطولوجي لجسد "أبو قيس" كنوع من العقاب التاريخي المسلط على جيل النكبة الذي اكتفى بمناجاة الماضي وعجز عن صياغة فعل مقاوم لحماية الحاضر. إن انكسار الشيخوخة داخل الخزان يتجاوز الإعياء البدني ليصبح دليلاً على إفلاس الوعي التقليدي الذي وثق في وعود الوسطاء والمهربين. يتبدى عجز الشيخوخة سيميائياً في عدم قدرة أصابعه المرتجفة على تلمس جدران المعادن بفاعلية، وذوبان مخزونه الحكائي تحت وطأة القيظ، مما يجعل جسده المترهل عبئاً فيزيائياً يسرّع عملية الاختناق، ويثبت بالدليل القاطع أن الحنين العاطفي المجرد للأرض المفقودة لا يكفي لإنقاذ الذات المستلبة من الوقوع في شرك الموت المجاني والتشيؤ الكامل في فضاء الغربة الطارد والملغوم برأس المال (بنية الوعي في روايات غسان كنفاني، د. عادل الأسطة، ص ٨٠-٨٤).

المطلب الثاني: جسد "أسعد" و"مروان"؛ ندوب المطاردة وعجز الفتوة

يحمل جسد أسعد تاريخاً سرياً ومكتوباً من الملاحقة والتعذيب السياسي؛ فهو مثقل بنذير الخوف المكبوت والندوب غير المرئية، ويمثل في الوقت ذاته حركية الشباب المتمرد الباحث عن أفق تعبيري بديل خارج حدود السجن الكبير المعاش. غير أن سجن المكان (الخزان) يقوم بتحجيم هذه الحركية وشلّها؛ فالفتوة الجسدية التي كانت تقاوم المطاردين في الأزقة، تصاب بـ "الاختناق المكاني" العاجز عن إيجاد ثقب تنفسي واحد، مما يحول قوة الشباب إلى طاقة مكبوتة تذوب وتتلاشى في صمت الصحراء البارد والمحايد.أما مروان فيمثل الجسد الغض والنحيل الذي قُذف به مبكراً في أتون الكدح الاقتصادي لتأمين لقمة العيش لعائلته التي تفتتت بفعل الهجرة واللجوء. يتجلى انزياح جسد مروان سيميائياً في سرعة انتقاله من غضاضة الطفولة الإنسانية ونعومتها إلى التصلب الجنائي والفيزيائي داخل الخزان الخانق. إن هذا الجسد لم يُمنح الفرصة التاريخية لتطوير وعيه الفردي أو عيش طفولته الطبيعية، بل تآكل وجوده الفيزيائي داخل الهيكل الحديدي للشاحنة ليصبح علامة صارخة على تصفية الغد وانكسار المستقبل قبل أوانه (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، غسان كنفاني، ص ٦٥؛ بنية الوعي في روايات غسان كنفاني، د. عادل الأسطة، ص ٧٣-٧٥).ويتلاقى مسار "أسعد" و"مروان" في الخزان ليجسد بوضوح كيف تلتهم الصحراء طاقات المستقبل وتجهض أحلام الجيل الجديد قبل تفتحها. إن فتوة أسعد الملاحقة وعضلاته التي قاومت السجانين في المعتقلات السياسية تستسلم في النهاية لجمود الصندوق الحديدي، مما يشير إلى أن البطش الميكانيكي والرأسمالي للتهريب أشد ضراوة من السياط المباشرة. وفي المقابل، فإن انهيار جسد مروان الغض يعلن سيميائياً عن سحق البراءة والطفولة على عتبات العوز الاقتصادي، حيث يتحول تلاحم هذين الجسدين الفتيين داخل الظلمة الدامسة من رمزية التضامن والتعاضد الإنساني إلى تكدس فيزيائي بائس لأجساد متعبة ومستسلمة، تفقد بالتدريج قدرتها على المقاومة والحركة، وتتحول تحت وطأة نفاد الأكسجين إلى بقايا بشرية متخشبة تنتظر مصيرها المحتوم بجوار جثة أبو قيس الهرمة (سيكولوجية الشخصية في الأدب، د. مصطفى سويف، ص ١٤٥-١٥١).

المطلب الثالث: المسار السردي للتآكل الفيزيولوجي للأبطال الثلاثة

لا يحدث الموت في الرواية فجأة، بل يتشكل عبر مسار سردي تدريجي يتتبع التآكل الفيزيولوجي للأجساد الثلاثة خطوة بخطوة. يبدأ هذا المسار بالعلامات الصغرى كالضيق الطفيف في التنفس وسخونة الجدران، ثم يتصاعد تزامناً مع تباطؤ الإجراءات الإدارية عند الحدود ليتحول إلى شلل فيزيائي كامل. تتحدر الأجساد من طور القدرة الحركية والوعي بالذات إلى طور المقاومة الحيوية اليائسة، حيث تصبح الحواس كلها معطلة عدا حاسة المعاناة من القيظ العنيف. إن رصد السرد لهذا التآكل التدريجي يبرز القسوة البنيوية للنص؛ إذ يجرد الأبطال من قواهم البيولوجية بتتابع

هندسي صارم، ينتهي بنفاد الأكسجين وتحول الخلايا الحية إلى بقايا متصلبة فقدت قدرتها على التكيف والنجاة (بنية النص السردي: دراسة نقديّة، د. إبراهيم خليل، ص ١٤٠–١٤٥)ومن خلال هذا التتبع الميكروسكوبي للتآكل الفيزيولوجي، يعمد غسان كنفاني إلى تفكيك الموت وتحويله من واقعة فجائية إلى مسار زمني مقيت يختبر صبر القارئ وأعصابه. إن تسارع نبضات القلب وتلاحم الأنفاس الساخنة داخل حيز الخزان الضيق يمثل إيقاعاً جنائزياً موازياً لسرعة محرك الشاحنة في الخارج. هذا التضاد الإيقاعي يبرز عمق المأساة؛ فكلما تقدمت السيارة نحو هدفها الوهمي، تراجعت الشخوص نحو حتفها الفعلي. يتحول الجسد في هذا المسار إلى مختبر حيوي لتأثيرات الضغط والحرارة والنقص الحاد في الغازات الحيوية، مما ينزع عنه أي صبغة رومانسية، ويؤكد على أن الموت في زمن اللجوء هو عملية تصفية مادية وجسدية باردة تُنفذ بدقة متناهية وبصمت مطبق يعري عجز المنظومة العربية والدولية (تحليلات الخطاب الروائي، د. سعيد يقطين، ص ١٣٠–١٣٦).

المبحث الثالث: سيميائية الإكسسوارات والأشياء المصاحبة للجسد وتأثيرها على الهوية

المطلب الأول: اللباس الممزق والوجوه المغبرة كعلامات اغتراب

تتجاوز الملابس الروائية في النص حيزها الوظيفي الوقائي لتغدو لغة إشارية تختزل انكسار الذات المهاجرة؛ فاللباس المرقع والممزق للشخصيات الثلاث عند نقطة البداية يعبر تعبيراً سيميائياً مباشراً عن تشرذم الهوية وتفتت الانتماء الطبقي والقومي. إن الغبار الذي يعلو الوجوه ويغطي الأطراف أثناء التنقل الفوضوي بين البصرة والكويت يمثل اندماجاً قهرياً بين الجسد البشري وبيئته الجغرافية الطاردة؛ حيث يفقد الجسد نقاءه الآدمي وتتحول السحنة الخارجية للأبطال إلى علامات دالة على التدني البيروقراطي والاجتماعي. يصبح الجسد المغبر إشارة بصريّة مشحونة برفض الواقع الراهن، ودليلاً عيانياً على أن الإنسان قد تحول بفعل شظف اللجوء إلى ملحق هامشي بالصحراء، لا يملك ترف العناية بمظهره الخارجي الذي استُلب منه عنوة (سيميائية الزي والجسد في المتخيل العربي، د. مبروك دريدي، ص ١٠٤–١٠٩)وبناءً عليه، يغدو الثوب الرث بمثابة كفن مبكر يرتديه اللاجئ طوعاً قبل أن تبتلعه المقبرة المعدنية؛ إذ يكشف تمزق القماش عن عري الذات الفلسطينية أمام عالم تجرد من أخلاقياته الإنسانية. إن الغبار الكثيف المستقر في ثنايا الجلد وتحت الأظافر ليس مجرد أثر فيزيائي عابر للمسير الطويل، بل هو وسم طبوغرافي يعلن اندماج الإنسان بالتراب والتردي الوجودي، مما يمحو ملامحه الفردية المتميزة ويصهر الرجال الثلاثة في نمط أيقوني موحد يمثل "اللاجئ المستباح". هذا التشويه البصري للمظهر الخارجي يسهم في تهيئة الأجساد لعملية الإقصاء الكلي، حيث يفقد الجسد جاذبيته الآدمية وتوافقاته الجمالية ليصبح مؤهلاً سيميائياً للاختفاء السريع داخل حاويات النفايات والنسيان دون أن يشعر العالم بفداحة الفقد (سيميولوجيا الأشياء في الرواية العربية الحديثة، د. جاسم خلف، ص ٧٨–٨٣).

المطلب الثاني: الأوراق الثبوتية المزورة وأزمة الانتماء القانوني

تتحول "الورقة الثبوتية" أو جواز السفر في الرواية من وثيقة إدارية محايدة إلى فاعل سيميائي مهيمن يتحكم في مصير الأجساد وحركتها الفيزيائية. إن غياب الأوراق الرسمية الصالحة أو اللجوء إلى التزوير والمهربين يضع الأجساد الثلاثة في منطقة عتمة قانونية تسمى "اللاوجود البيروقراطي". يتجلى الانزياح السيميائي هنا في كون الجسد الحي، بما يملكه من طاقة وقوة وفكر، يصبح رهينة لورقة صغيرة موقعة؛ فإذا فُقدت الورقة، فُقدت شرعية وجود الجسد في المكان، وتحول إلى موضوع للمطاردة والاقصاء. إن الأوراق المزورة تصوغ هوية بديلة ومستعارة للأبطال، وتصنف أجسادهم كـ "أشباح" تسير على غير هدى في جغرافيا ملغومة بالحدود والمكوس، مما يعمق أزمة الانتماء الوطني والشرعية الإنسانية (أيديولوجيا السرد والوثيقة الدالة، د. عبد الله إبراهيم، ص ٢١٥–٢٢٠)وتعظيماً لهذا الطرح، فإن الأوراق المزورة تمثل أداة سيميائية للتفتيت والمسخ القانوني، حيث تجبر اللاجئ على العيش بأسماء مستعارة وتواريخ ميلاد وتفاصيل حياة لا تنتمي لواقعه الحقيقي بصلة. إن هذا التزوير البيروقراطي يخلق انفصاماً حاداً بين الجسد المادي الحاضر والذات الاعتبارية المسجلة في الوثيقة الفاسدة، مما يجعل الإنسان يشعر بأنه يسرق وجوده سرقة من مخالب جغرافيا معادية. وتغدو الهوية في هذا السياق بضاعة خاضعة لقوانين العرض والطلب في سوق التهريب السوداء، حيث يفقد الفرد حقه في الانتساب إلى وطنه الأم، ويصبح مجرد رقم سري أو علامة غامضة مدونة على حاشية تذكرة عبور ملغاة، مما يشرعن تصفيته الفيزيائية وسحقه ككائن غير معترف به في السجلات الرسمية (أيديولوجيا السرد والوثيقة الدالة، د. عبد الله إبراهيم، ص ٢٢٥–٢٣١).

المطلب الثالث: حقائب السفر المفقودة والذاكرة المادية المستلبة

تمثل الحقائب المفقودة أو المهملة في فضاوات العبور علامة إضافية على بتر الروابط مع الماضي؛ فالحقيبة ليست مجرد وعاء للمتاع الشخصي، بل هي أرشيف مادي مصغر يحمل ملامح الوطن المفقود وذكريات العائلة والأرض. إن تخلي الأبطال عن حقائبهم الكبيرة واكتفاءهم بأجسادهم العارية عند دخول الخزان يشير سيميائياً إلى التجريد المنهجي للذات من ذاكرتها التاريخية والمادية. يصبح الرجال بلا ماضٍ يحميهم أو يسند وجودهم

داخل الزنزانة الحديدية، لتغدو أجسادهم مجردة كلياً ومفصولة عن أي سياق اجتماعي أو عائلي سابق، مما يسهل سحقها وتشييئها دون ممانعة من محيطها المادي (سيميولوجيا الأشياء في الرواية العربية الحديثة، د. جاسم خلف، ص ٦٧-٧٢)إن هذا الفقد الممنهج للمتاع والحقائب يعلن سيميائياً عن تحول الذات المهاجرة إلى كائن عارٍ تماماً ومجرد من حمولته الثقافية والاجتماعية. إن اختزال المتاع الشخصي في بضع قطع رثة لا تحمي من القيظ يبرز كيف تعمل رحلة اللجوء كآلة طحن تفكك الممتلكات وتذيب الذاكرة المادية للأفراد. تصبح الحقيبة المفقودة رمزاً للوطن الذي ضاع في غمرة الاقتلاع القسري، وتخلف وراءها رجالاً بلا ظهير مادي يسند كينونتهم المتآكلة. ومن ثم، فإن دخول الخزان بأجساد عارية ومفرغة من متعلقاتها يسهل على الآلة الجهمية للشاحنة دمجهم في جدرانها المعدنية، محولةً إياهم من شخوص ذوي ملامح وتاريخ إلى مجرد شحنة بشرية مجهولة لا تملك ما يثبت كرامتها الوجودية (سيميائية المرئي والملفوظ في الرواية العربية، د. صلاح فضل، ص ١٦٢-١٦٨).

المبحث الرابع: سيميائية العجز والخصاء (جسد للهأبو الخيزرانلله فاعلاً سردياً)

المطلب الأول: انزياح الجسد المشوّه وأثره في قيادة المصير

يُمثل جسد السائق "أبو الخيزران" البؤرة العلاماتية والسيميائية الأكثر تعقيداً وتشظياً في الرواية. إن عاهته الجسدية المتمثلة في الخصاء الحسي والبيولوجي الناتج عن شظية حرب قديمة لا تقف عند حدود التدمير الفسيولوجي العابر، بل هي انزياح علاماتي كلي وصادم يحمل أبعاداً سياسية وتاريخية؛ إذ يُحيل هذا الخصاء مباشرة إلى عجز القيادة السياسية والتقليدية وفقدانها للقدرة على الإخصاب الوطني، الحماية الروحية، والتوجيه السليم. إن هذا الجسد المشوّه يقوم بتعويض نقصه العضوي والجنسي عبر الارتماء في أحضان الجشع المادي، والسرعة الميكانيكية، والانتهازية النفعية. يتحول أبو الخيزران إلى جسد مفرغ من الإنسانية العميقة والمواساة، مما يجعله عاجزاً معنوياً ونفسياً عن سماع نبض الرجال الوجودي في الخلف، أو الاستجابة لنداء ضميره المعزول خلف زجاج قمرة القيادة المكيفة (المقاومة والتحولات الروائية، د. فيصل دراج، ص ١٤٢-١٤٦).

وبناءً على ذلك، فإن جسد أبو الخيزران المشوه يغدو بمثابة نموذج سيميائي مصغر للمؤسسة السياسية العربية في مرحلة ما بعد النكبة، تلك المؤسسة التي فقدت شرعيتها الثورية والوجودية واستعاضت عنها بممارسة سلطة قمعية وإدارية بليدة على المحكومين والمستضعفين. إن عجز هذا الجسد عن الإخصاب يتحول عبر آليات التعويض النفسي والسردي إلى رغبة عارمة في السيطرة المادية وجمع المال على حساب أرواح الضحايا. يصبح أبو الخيزران رمزاً للقائد الذي يملك أدوات الحركة والسرعة (الشاحنة) لكنه يفتقر إلى الرؤية الأخلاقية والاتجاه الصحيح، مما يجعل قيادته للمصير الجمعي مساراً كارثياً حتمياً يقود الأبرياء إلى الاختناق والصمت في جوف الآلة الصدئة دون أدنى شعور بالذنب (المقاومة والتحولات الروائية، د. فيصل دراج، ص ١٤٨-١٥٤).

المطلب الثاني: الشاحنة/الخزان بوصفه امتداداً آلياً للجسد العاجز

وفق منظور السيميائيات الآلية وتفاعل الإنسان مع التكنولوجيا، تتوقف الشاحنة الكبيرة بخزانها المعدني الأسود اللاهب عن كونها مجرد وسيلة نقل عادية، لتتحول سيميائياً إلى امتداد آلي وتكنولوجي مباشر لجسد أبو الخيزران العاجز والمشوه. فالخزان العقيم، المظلم، والمغلق الذي يمتص الأنفاس ولا يمنح الحياة، يطابق تماماً ذات السائق المخصية والجرداء من العاطفة والانتماء. وتصبح حركة الشاحنة الفتاكة وهي تنهب أزقة الصحراء محاكاة فيزيائية لحركة جسد مشوه يقود أجساداً بريئة ونزيهة نحو حتفها الحتمي. إن التلاحم بين آلة الشاحنة وجسد السائق يصنع نظاماً باطشاً واحداً، يتحرك بدافع الربح المالي السريع، دون أدنى اكتراث بالحق الإنساني الصامد للرجال القابعين في ظلمات النعش الحديدي المجهول (سيميولوجيا الشخصيات الروائية، د. رشيد بن مالك، ص ٩٨-١٠٣)ويكشف هذا التماهي البنيوي بين السائق والآلة عن خطورة تشيؤ الإنسان وتكنولوجيته في سياق الحروب والأزمات؛ إذ يتحول أبو الخيزران من كائن بشري يملك حواساً وعواطف إلى ترس ميكانيكي بارد داخل منظومة التهريب الكبرى. إن الخزان الحديدي الأسود يصبح بمثابة رحم صناعي عقيم يعكس عقم السائق البيولوجي والسياسي، فلا يفرز إلا الموت والتآكل المستمر. وتتحول الشاحنة باندفاعها الأعمى في فيافي الصحراء اللاهبة إلى تجسيد مادي لرغبة المخصي في إثبات الذات وتحقيق التميز الفيزيائي عبر قوة المحرك وهديره العنيف، مما يبرز كيف يمكن للأدوات التقنية والصناعية أن تستوعب العاهات الإنسانية وتغذيها، محولة العجز الفردي البسيط إلى أداة بطش جمعية تلتهم مصائر الأبرياء وسلبهم حقهم الطبيعي في الوجود (سيميولوجيا الشخصيات الروائية، د. رشيد بن مالك، ص ١٠٥-١١١).

المطلب الثالث: لغة التعويض النفسي؛ الثرثرة والجنس الوهمي

يلجأ أبو الخيزران إلى لغة الثرثرة الدائمة والمبالغة في استعراض بطولاته العسكرية والجنسية القديمة كآلية دفاعية وسيميائية لتعويض خصائه العضوي أمام موظفي الحدود. إن هذه التخرصات والأكاذيب تشكل "قناعاً لغوياً" يخفي وراءه تآكلاً داخلياً حاداً وانهياراً تاماً للرجولة والقيادة. تصبح مغامراته

الوهمية مادة للتندر والتسلية البيروقراطية التي تبدد وقت العبور الذهبي؛ فالحديث الطويل عن النساء والمتع الجسدية المفقودة يلهيه عن الواقع الفاجع المتمثل في اختناق الرجال الثلاثة بالخلف. يبرز هذا المطلب كيف تتحول الكلمة الزائفة إلى أداة قتل حقيقية، حيث يتواطأ السائق والبيروقراطي في نسج أكاذيب تحجب صرخات الموت الفعلية القابعة خلف الجدران (سيكولوجية الشخصية في الأدب, د. مصطفى سويف، ص ١٨٩-١٩٤)وتباعاً لذلك، فإن الجنس الوهمي والثرثرة الفارغة في غرف التفتيش المبردة يمثلان علامة سيميائية على انحطاط الوعي البيروقراطي وانفصاله التام عن مآسي الضحايا المكتوين بنيران الجحيم المعدني بالخارج. إن لغة التعويض النفسي التي يمارسها أبو الخيزران تكشف عن تآمر اللفظ ضد الكينونة؛ فالأحاديث المستفيضة عن الفتوة العسكرية السابقة والتمتع بأجساد النساء ما هي إلا آلية تستر بائسة على عجز الحاضر وخيانة القضية المركزية. وتغدو الكلمات في هذا السياق بمثابة جدران إضافية تحاصر الأبطال الثلاثة، حيث يسهم كل تدفق لفظي كاذب وكل ضحكة لاهية مع موظف الحدود الفاسد في اقتطاع ثوانٍ ثمينة من الأكسجين المتبقي داخل الخزان، مما يحول الهزل والعبث اللغوي إلى شريك أساسي في جريمة التصفية (بنية النص السردي: دراسة نقديّة، د. إبراهيم خليل، ص ١٥٢-١٥٨).

الخاتمة وأبرز نتائج البحث

تأسيساً على هذا التفكيك السيميائي المعمق لنص الرواية وفضائها بمطالبها المستحدثة والموسعة، خلصت الدراسة إلى النتائج التركيبية التالية:

١. **التلاحم الجدلي بين الجسد والمكان:** أثبت البحث أن المكان في "رجال في الشمس" (الصحراء والخزان والحدود) يتجاوز دوره الجغرافي الساكن ليعمل كزنزانة وجودية وآلة قمعية تسهم مباشرة في تشويه وانزياح دلالة الجسد البشري الباحث عن النجاة.

٢. **الاحتكام لمسار التشيّؤ والتآكل التدريجي:** كشف التحليل السيميائي عن تحول أجساد الأبطال طردياً وبتتابع سردي هندسي من العنفوان والارتباط بالأرض إلى مرتبة "الأشياء والمواد المكدسة" الصدئة، مما يرمز إلى ذوبان الهوية المعاصرة تحت وطأة التشرد البنيوي.

٣. **التأثير العلاماتي للأشياء والإكسسوارات:** تبين من خلال مطالب التوسيع النقدي أن الأوراق الثبوتية المزورة، والملابس الرثة، والحقائب المهملة تمثل نسقاً سيميائياً موازياً يحرم الجسد من شرعيته القانونية والاجتماعية والذاكراتية ويحيله إلى كينونة هامشية.

٤. **الخصاء الرمزي والتعويض الزائف:** تبيّن أن عاهة جسد "أبو الخيزران" (الخصاء) تقدم انزياحاً علاماتياً يعري عجز الأنساق القيادية، التي تسعى لتعويض نقصها البنيوي عبر ثرثرة وأكاذيب تعزلها عن سماع صراخ المقهورين وصون مصائرهم.

٥. **مفارقة الصوت والصمت الحسي:** كشف التحليل السمعي والحسي عن تراجع لافت للصوت البشري لصالح الهدير الميكانيكي، وعن تحول شعرية الاختناق والوصف الحسي للحرارة والظلمة في الخزان إلى لغة درامية فاجعة تعوض الكلمات الغائبة وتؤكد استحالة التواصل الفعال.

٦. **هندسة التلقي وصدمة النهاية:** نجح النص، من خلال تفكيك صرخة السائق المؤجلة وبلاغة صمت الأبطال، في هز أفق توقع القارئ وتحويله من مستهلك سلبي للحكاية إلى شريك فاعل في إدانة آليات الاستلاب والظلم الاجتماعي المعاصر

قائمة المصادر والمراجع

١. **الأسطة، د. عادل.** بنية الوعي في روايات غسان كنفاني، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢م.

٢. **إبراهيم، د. عبد الله.** أيديولوجيا السرد والوثيقة الدالة، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٣. **بن مالك، د. رشيد.** سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٩م.

٤. **خلف، د. جاسم.** سيميولوجيا الأشياء في الرواية العربية الحديثة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٠م.

٥. **خليل، د. إبراهيم.** بنية النص السردي: دراسة نقديّة، ط١، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧م.

٦. **دراج، د. فيصل.** المقاومة والتحولات الروائية، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧. **دريدي، د. مبروك.** سيميائية الزي والجسد في المتخيل العربي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢م.

٨. **سراي، د. محمد.** أيديولوجيا الجسد: دراسات سيميائية في الرواية العربية، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١١م.

٩. **سويف، د. مصطفى.** سيكولوجية الشخصية في الأدب، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٠. **طبل، د. حسن.** الصوت والمعنى: دراسات في البنية السمعية للنص، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١١. **غانم، د. سعيد.** بنية الخطاب السمعي وتأويل النص الأدبي، ط١، مؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠١٥م.

١٢. **فضل، د. صلاح.** سيميائية المرئي والملفوظ في الرواية العربية، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٣. **قاسم، د. سيزا.** السيميائية والأدب: النظرية والتطبيق، ط١، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م.

١٤. **كنفاني، غسان**. رواية رجال في الشمس، ط١٢، دار الرمال، عمان، ٢٠١٤م.
١٥. **كنفاني، غسان**. أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٦، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧م.
١٦. **لحميداني، د. حميد**. فضاءات المتخيل الروائي: دراسة في فلسفة المكان، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
١٧. **مبروك، د. مراد عبد الرحمن**. آفاق المتخيل الحسي في الرواية العربية المعاصرة، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
١٨. **نوجيت، د. ديفيد**. النقد البنيوي والتفكيك، ترجمة: د. أحمد بوحسن، ط١، دار قرطبة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.
١٩. **النصير، د. ياسين**. شعرية المكان في الرواية العربية، ط١، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٣م.
٢٠. **يقطين، د. سعيد**. تحليلات الخطاب الروائي: الزمن-السرد-التبئير، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.